Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن رشد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(قرطبة من علٍ ؛ المدينة ، الشرقية ، المنازل البيضاء ، الأسقف الملكية ، إلخ ، عند النزول نرى ابن رشد ، وهو فى السابعة والستين من عمره يعبر من عدة أماكن مختلفة وهامة مع أناس عاديين من العصر الحاضر ومنذ اللحظة الأولى نستمع إليه) .

ابن رشد : يقولون عنك إنك لست سوى نفاية منك أنت ، يقولون عنك إنك لست سوى ظل لما كنته بالأمس . يقولون عنك ياقرطبة ، إنك عندما كنت عاصمة العالم وصلت إلى درجة بالغة من الجمال ، ما أعسر أن يعتقد المرء ذلك حين لا توجد اليوم – وأنت محافظة لأحد الأقاليم – أية مدينة تتفوق عليك ، فيك راق الجمال ، وفيك بلغ الناس – فى سخاء – غاية جهدهم ، فماء نهرك متسربا بين شعاب الجبل والقرى عكس بالأمس مدى ثرائك ، ويعكس اليوم مدى سكونك ، إن طقسك ومناظرك يكادان يماثلان طقس اليونان ومناظرها أكثر مما يماثلان بابل ، وهما يجعلان رجالك هادئين وأذكياء ، وقد لاحظت كذلك أن صوف الغنم الأندلسى أرق بكثير مما هو فى بلد آخر ، كذلك بنية رجالك أكثر توازنا كما يشهد بهذا لون سحنتهم ، وصفة شعرهم . لون الرجال الأندلسيين ليس فى سمرة أهل الجزيرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العربية ، ولا شعرهم له جعودة شعر الأفريقيين ولا هو سبط كشعر أمم الشمال بل هو متموج حريرى ، إننى أحب كل الأندلس من خلال اسمك ياقرطبة ، عندما أكون بعيدا عنك كل شيء يبدو لى غريبا حتى أنا نفسى أبدو غريبا ، لقد صنتك دائما فى سويداء قلبى كلؤلؤ مكنون فيك أود أن ألفظ آخر أنفاسى ، وأن يتحلل جسدى ويشكل جزءا من ثراك (يعبر بابا صغيرا) لأنى هنا - خلال سنوات كثيرة - خرجت من الشرقية لأعود مرضاى ، فإن القرطبيين من الأمير إلى الخفير أودعوا صحتهم في يدىّ ، يقولون إن المرء إذا نشد لبن العصفور يجده فى إشبيلية وفيك ياقرطبة من الذى يتجاسر على نشدان لبن العصفور ؟ حسب المرء أن يتنفسك شاعرا بيدك المعطرة على خده ، وبأنفاسك الدافئة على جيده ، كتب الشقندى أن أهل إشبيلية قوم ذوو خفة وظرف ، ولوذعية وسرعة بديهة ، ويضيف أن الإشبيليين على ضفاف نهر الوادى الكبير ، يعزفون على الربابة والقانون ، والقيثارة ، والناى ، والبوق ، بينما يمزحون ، ويتماجنون مع النبيذ ، أشبيلية اليوم هى عاصمة الأندلس ، إننى أحبها لأننى أحبك أنت ، فإنها بمثابة أختك ، ومع ذلك لا أدرى لماذا ؟ بيد أنه حين يموت عالم فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إشبيلية يحملون مكتبته لبيعها فى قرطبة ، وحين يموت مغن أو موسيقى فى قرطبة فإنهم يحملون آلاته لبيعها فى أشبيلية (أمام أحد الأعمدة فى بهو البرتقال) مستندا إلى هذا العمود طالما ألقيت دروسى ، قليل هم أولئك الفتية القرطبيون الذين لم يأخذوا منى أكثر مما أخذوا من آبائهم . أفضل هذا السكون ، أفضل هاته النظرات ، أفضل أن تبقى الأشياء فى مكانها هادئة حيث أقامتها القرون . يقولون عنى إننى رجل أتجاوز الحدود فى صرامتى ، لأننى لم أصنع شيئا غير المدارسة فى الواقع أذكر أننى نسيت الكتب ليلتين فقط : أولاهما ليلة موت أبى ، وثانيتهما ليلة عرسى ، يقولون عنى إننى رجل صارم ، إننى لا أرانى هكذا أعتقد أننى فى آن واحد رجل صارم ومرح ، مثل الخشب الذى فى وسعك أن تصنع منه قوسا للحرب ، وأن تصنع منه عودا ، إنك هكذا أيضا ياقرطبة لذا عندما ذهبت إلى ماوريتانيا أو إلى أشبيلية كنت أشتاق إليك كثيرا لأن المرء يفكر جيدا ، ويعمل أفضل حين يتنفس الهواء الذى ولد فيه ، إننى أشفق على الأندلسيين المنفيين ، ربما لا يذبل رجل آخر مثلما يذبل الأندلسى حين يقصى عن سمائه ، عن كسله ، عن عطره ، عن طربه ، عن شعوره الصحيح بالحياة والموت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(أمام باب المسجد) لقد مررت بهذا القوس مرات لا تحصى لأؤم المسلمين فى صلاة الجمعة باعتبارى قاضى القضاة (نرى ضوءا بين غابة الأعمدة الداخلية) وهنا فى طريقى اليوم ليحكم علىّ أنا الذى مارست القضاء أكثر من ربع قرن ، وفصلت فى كل أمور هذه المدينة مدينتى ، وحتى الآن كانت أحكام قضاة قرطبة الآخرين فى قبضتى : محتسب السوق ، وكيل المواريث ، والقائم بأمور المعايير والأثمان ، صاحب المدينة ، صاحب ديوان المظالم ، هنالك جالسا فوق حشيتى أفصل بالعدل والقسطاس المستقيم ، فليجعل الله المقياس الذى يحكم علىّ به اليوم من نفس المقياس الذى كنت أحكم به ، وإن كان يبدو لى أنه مجلس أكثر من العدد اللازم ، لم تتعود العدالة أن تبنى عشها وسط الزحام (ضجة أصوات ، تهتف كلها تقريبا بلا نظام « النظام ، النظام » يختفى ابن رشد فى ظلال الأعمدة) .

صوت ١ : القضية الأولى هى عدم نقاء دم ابن رشد ، فهل لنا أن نعرف إلى أى قبيلة يُعزى ؟ من الذى يؤكد لنا أنه ليس من أصل يهودى ؟

(همس دائم ، وجلبة مستمرة)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأصولى : منذ تسعين سنة كان ابن رشد – جد هذا – قاضيا لقرطبة ، ومنذ ستين سنة كان أبو هذا قاضيا كذلك ، من نحن حتى نحكم على سلالة قضاة ؟

صوت ٢ : (فى هياج) هاهنا نحن قادة العسكر فى قرطبة .

صوت ٣ : وفقهاء قرطبة

صوت ٤ : وقضاة قرطبة

صوت ٣ : لقد اجتمعنا هنا بأمر الأمير لنفحص مؤلفاته ، ونقرر الأمر بشأن هرطقته .

الأصولى : وعن صحة عقيدته لا ؟

صوت ٥ : حذار يا إبراهيم الأصولى ، لا تهو معه بسبب دفاعك عنه .

صوت ١ : إننى أتساءل لماذا يسميه النصارى ابن رويث ؟ أليس « رويث » هذا لقبا نصرانيا ؟

الأصولى : وليس نصرانيا لقب مردنيش ؟ والملك لب المرسى لُبّ بن مردنيش ، ألم يكن لوبى بن مردنيش ؟

صوت ٤ : لقد كان الملك لب أشد الخصوم عنادا لملوكنا الموحدين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأصولى : بيد أن ملكينا أبا يعقوب وأبا يوسف تزوجا ابنتيه برغم ذلك فلا نخلط إذن بين صحة العقيدة وبين البيولوجيا ولا بين الشفقة وبين نقاء الدم ، إننا هنا فى قرطبة حيث تربع التسامح قرونا طويلة فلا نهدمه اليوم .

(وجه ابن رشد بين صخب المجلس)

صوت ابن رشد : التسامح . . ألم يبدأ اليوم فى التخلى عن عرشه (على أبواب الكنيس) كان ميمون صبيا - تقريبا ، عندما قابلته ذلك الصباح ومع ذلك لم يكن صباحا جليا ، ولدى أبواب الكنيس ، كان الدمع يجول فى عينيه أومأ إلىّ أن أدخل .

صوت ميمون : أستاذ ابن رشد . . .

ابن رشد : (وهو فى الخامسة والعشرين) لا تنادنى بلقب أستاذ .

صوت ميمون : كانت آخر مرة وطأت فيها أرض الكنيس يا ابن رشد .

لقد أجبرنا الموحدون على الإسلام . وتحول المرء عن عقيدته بسبب الخوف من الموت لن يكون على الإطلاق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحولا صحيحا ، وقد أعلنوا كراهية اليهود ومنعوكم – أنتم المسلمين – من خدمتنا والتعامل معنا ، وحرمونا من التجارة معكم ، وذبح الحيوانات من أجلكم ، فلا يؤذن لنا بارتداء زى شريف ، ولا يدعونكم تلقون بالسلام إلينا ، وحظروا علينا شراء الكتب العلمية ، حتى ممارسة الطب المفيدة ، وبعد قليل يا ابن رشد سيحرمون علينا التفكير ، ويمنعوننا أن نكون رجالا يا ابن رشد ، سأمضى عن قرطبة .

ابن رشد : صبرا ياميمون ، إنك مازلت فتى ، والأمور تتبدل .

صوت ميمون : نعم ، تتبدل إلى أسوأ ، سأمضى عن قرطبة ، ليس لى إلا حياة واحدة ، كنت أود أن أودعك ، وأوصيك باحترام الرأى الآخر . والمعاشرة السلمية ، وتبادل الحوار ، والتفريق بين العدو وبين المخالف فى الرأى ، لأن هنالك تكمن أصالة أى علم ، وأى دين مهما كان ، وداعا ياابن رشد ، حافظ على قرطبة « واحترس من قرطبة » (مازال أثر الضجة فى المسجد على وجه ابن رشد) .

صوت ٦ : لماذا لم تشرح لنا يا أصولى صداقته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحميمة بالأمير أبى يحيى شقيق السلطان ؟ ألم تكن تلك الصداقة مؤامرة ؟

الأصولى : ألم يكن ابن رشد أيضا صديقا حميما لأبى يعقوب ؟ أليس اليوم صديقا حميما أيضا لابنه ؟ ألا يدعوه أبو يوسف – حفظه الله – أخاه ؟

صوت ٦ : إن التقرب من الملوك ذو عاقبة وخيمة دائما ، والخيانة تتسلق هوى الحكام المفرط كما يتسلق اللبلاب جذع الشجرة » .

صوت ٥ : إن سوء استعمال الثقة يستلزم ثقة سابقة .

صوت ابن رشد : (يسلط ضوء على وجهه) كنت قد أتممت أربعين سنة حين عين « أبو يعقوب » « ابن طفيل » طبيبه الخاص ، وعينه وزيرا ، وكان يعيش فى قصره وقد واعدنى ذات أصيل هناك ، وقدمنى للسلطان وكنت شديد الارتباك . . .

(قاعة القصر ، وابن رشد فى الأربعين من عمره) .

صوت السلطان : حدثنى ابن طفيل عنك بدون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلل ، ملحاً على أن لديك نظريات عجيبة ، ولا تتسق دائما والسنن المرعية ، ماذا ترى مثلا فى خلق العالم ؟ أهو قديم أو محدث ؟ (تبدو حيرة على ابن رشد)

إن ابن سينا يعتبر مسألة الوجود بمثابة عرض للجوهر [يتحدث عن خلق واجب لكائنات عرضية] وفلاسفة الإغريق لا يرونه هكذا : لأن العرضية تنافى الوجوب .

ابن رشد : (متحمسا) وأنا أيضا لا أرى هذا يا سيدى . فإن الله خلق العالم منذ الأزل ؛ لأن الإرادة الإلهية لا يمكن أن تحركها علة خارجة عن الذات ، كان العالم دائما ممكنا ، ومخلوقا على الدوام ، ومسألة الخلق – كما أرى – أمر واجب ، وإن كانت المخلوقات شيئا عرضيا .

صوت السلطان : إن أرسطو غامض . ليتك تشرح كتبه وتعلق عليها لتنجلى لنا .

صوت ابن طفيل : سيدى ليس ثمة رجل أكثر استعدادا لهذا من ابن رشد ولهذا أصررت على إحضاره إليك .

صوت السلطان : لوصنعته يا ابن رشد فسوف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تذكر لك البشرية جمعاء هذه اليد ، إننى اليوم أكتفى برجائك إياه .

ابن رشد : لست كفؤا لهذا ياسيدى ، ولست أعرف اليونانية ، ومؤلفات أرسطو كثيرة جدا ، وجهودى ضئيلة جدا .

صوت السلطان : حاول هذا ياابن رشد . (بينما ابن رشد يقبل الأرض بين يديه) حاوله يا ابن رشد .

(فى المسجد مرة أخرى)

صوت ٤ : فى رسالة وجهها إلى أمير المسلمين لقبه « بأمير البربر » دون أن يستخدم أى لقب من ألقاب التوقير .

الأصولى : (ثائرا) ، هذا شىء قد مضى ، وقد اتضح الأمر ، قد اتضح ، وفهم أبو يوسف شرحه ، كان خطأ من الناسخ ، الذى التبست عليه علامات الترقيم ، كتب ابن رشد « ملك البرين » أيتخذ الأمير طبيبه الخاص رجلا لا يوقره ؟ .

صوت ٨ : ولماذا أمر إذن أن نحاكمه ؟

الأصولى : ليست محاكمته التى علينا أن نقوم بها ، بل أن نرى رأيا ، وبدون صخب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوت ٣ : فى إحدى رسائله اعتبر النجوم آلهة ، وذكر اسم الإلهة فينوس .

الأصولي : كان اقتباسا يونانيا ، لقد سرق بعضهم من مكتبته ورقة مفردة ، وعرضها على السلطان ، كفى ! كفى ! إنكم تتبرعون باتهامات كاذبة ، ومنسية ، ودسائس ندامى سفيهة ، وبأحقاد وخلافات .

ابن رشد فوق كل هذه الترهات ، (ضجة ضخمة ، يتقدم ابن رشد إلى وسط الضجة) .

ابن رشد : اهدأو ، اهدأوا ، شكراً لك أيها القاضى إبراهيم الأصولى ، شكرا ياصديقى ، بيد أنى أرجوك ألا تؤدى شهادة طيبة فى حقى أكثر مما صنعت ؛ حسبك أن يتهم أحدنا (يتوجه إلى من حوله) حضرات العلماء ، والقادة ، والفقهاء ، إنكم مجتمعون فى هذا المجلس لتقييم مؤلفاتى ، وإنها لمعقدة ، وغزيرة حتى أننى لا أذكرها لقد كتبت حول كل شيء تقريبا ، تحدثت عن ما هو إنسانى ، وعن ما هو إلهى ، وبدون ريب وقعت فى أخطاء علمية ، بيد أنى أؤكد لكم أن نيتى كانت دائما أن أعول على ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جاء فى القرآن الكريم وما جاء فى تفاسيره الصحاح ، إنكم أنتم أهلى ، كنت طبيبكم ، وطبيب أولادكم ونسائكم ، لقد حيا بعضنا بعضا فى شوارع قرطبة ، وتعارفنا ، وصلينا معا ، وتسامرنا معا أحيانا فى هدوء فى منازلكم أو فى منزلى حول آلاف الأمور الهامة ، وتبادلنا الآراء والنظرات ، وكنت قاضى قضاتكم ، ودافعت عنكم فى المجلس الملكى ، مهتما بأمور طلاقكم ، وشهاداتكم ، ومواريثكم وتكفلت بأموال الغائبين ، واليتامى ، والقاصرين ، وطلبت منكم أحيانا مشورة فى مجالسى ، وكنتم شهودا على أحكامى وعلى نزاهتى ، وبجانبى هنا توجد وثائق أحكامى ، لم أصنع فى حياتى أكثر من المدارسة ، والتأمل ، ومساعدة الذين حولى ، لهذا أقف بينكم هنا بلا خشية ، إننى أومن بالإنسان ، وأثق فيكم ، لأنكم تعرفوننى ، إنكم فقهاء وطنى ، وقضاته ، وقادته .

صوت ٣ : (بعد لحظة صمت خفيفة) إنك تحدثت عن القرآن وتفسيراته ، وتؤكد أن الدين له نواح مختلفة حسب الرجال واستعداداتهم ، وضح ذلك .

ابن رشد : أفهم أن ثمة ثلاث طبقات من الرجال ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل طبقة يناسبها ضرب من الأدلة . فالعامى يركن إلى إيمان بدون أدلة ، أو بأدلة خطابية ، والفقهاء أهل اقتناع يستخدمون الفكر الجدلى ، وحججا احتمالية ، والفلاسفة أصحاب براهين ، مثلهم الأعلى هو العلم ، يشترطون أدلة لازمة إلى أقصى حد .

صوت ٣ : انظروا ، إنه يضع الفلاسفة فوقنا ، نحن الفقهاء ! زندقة !

صوت ٩ : فى إحدى المناسبات التقيتُ بالصوفى ابن عربى ، وقد اعترف لك بأن « الحب هو دينى » ، وأنت أجبته : بأن « العلم هو خير الأديان » .

ابن رشد : فىَ ذلك اليوم شكرت الله كثيرا ، لأننى وقد انكببت على التأمل والمراجعة ، والمباحث العقلية تفردت برؤية رجل – بعينىّ هاتين – دون مدارسة ، ومطالعة وبدون تدريب – ولج جاهلا إلى عزلته الروحية ، وخرج منها وقد أصابته العدوى الإلهية .

صوت ٧ : هذا تعبير زندقة .

ابن رشد : أتخلى عن هذا التعبير : إنه مجرد استعارة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوت ١٠ : ألا تؤمن بالوحى ؟

ابن رشد : أومن بأن الله يعلم البشر عن طريق الوحى ، ما لايستطيع العقل أن يصل إليه ، بيد أن هذه الحقائق العليا التى يحتاج إليها المرء ليعيش نوعان : حقائق مجهولة على الإطلاق أى أن إدراكها ليس فى طبيعة العقل ، وحقائق مجهولة لطائفة من الناس ليس لديها استعداد كبير ، وفى رأيى أنه يجب على الإنسان أن يحاول – فى إصرار – أن يفهم أسرار الدين .

أصوات متعددة : زندقة ، فسوق !!

صوت ٦ : كيف يكلم الله البشر ؟

ابن رشد : بثلاث طرق كما جاء فى القرآن ، بالوحى ، أومن وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، وفضلا عن هذا الوحى الذى لا يدرك بالعقل ، فثمة طريقة أخرى للحقائق الطبيعية فى ذرع الجهد الإنسانى المثقف أن يحصلها ، وليس ثمة ما يدعو إلى تعارض العقل والنقل .

أصوات متعددة : زندقة ، زندقة !!

ابن رشد : (يجهر بصوته كى يسمع) إن المؤمن له الحق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

– بل إنه واجب عليه – أن يتفكر فى دينه .

أصوات متعددة : فسوق!!

ابن رشد : إن الفكر الفلسفى لا يقودنا إلى نتائج تعارض النقل ، لأن الحقيقة لا تناقض الحقيقة إلا إذا تدخلت عوامل منحرفة مثل التعليم الغلط ، والجهل ، والهوى ، والتحيز . .

أصوات متعددة : إنه يهيننا ، إنه يحمل علينا !!

صوت ١٠ : (محاولا أن يكظم سخطه) وماذا عن أفكاره المتمردة فيما يتعلق بالنساء ؟

ابن رشد : ليست متمردة . لقد كتبت فحسب عن مساواة الرجل بالمرأة فى بساطة وأكدت أننا نجهل مهارات المرأة ، لأنها لم تستخدم إلا فى الإنجاب ، وبسبب أننا لا نعدهن لأى نشاط إنسانى ، فقد صرن يشبهن النبات . وأجد أسباب فقر بلادنا هو عدم أهلية وكسل النساء اللائى أراد لهن الرجال هذا ، فإذا كنّ ضعفنا فى العدد فكيف لا نعتنى بهن ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كيف ندعهن ، ولا نسمح لهن فى ظروف نادرة بسوى الغزل والنسج ؟

إننى أعجب بالمرأة وأحترمها .

صوت ٥ : ويقول إن أفكاره ليست متمردة !

صوت ٩ : قد قررت أنه لا يوجد طغيان أشد من طغيان العلماء أو الفقهاء .

صوت ٢ : وأن الجيش هو حارس الشعب وليس صاحبه .

ابن رشد : إن هذه الجمل تفهم فى سياقها الذى وردت فيه ، إننى فيلسوف يخيل لى أن التَّزمُّت فى الدين خطأ ، وأنا رجل أندلسى . . .

صوت ٢ : (مقاطعا) إنه يجاهر بالقومية الأندلسية إزاء دولة الموحدين .

ابن رشد : إننى لا أجاهر بشىء . أقول فقط إن للأندلس تقاليد راسخة من الحضارة والمعرفة ، ليس من الممكن أن تُحكم كما تحكم أقاليم أخرى لا تضاهيها فى شخصيتها ، إن الأندلس دائما احتلت محتليها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أصوات متعددة : ماذا تريدون أن تسمعوا أكثر من هذا ، هيا بنا إلى السلطان .

صوت ٦ : المثقفون فرديون ، ومناهضون للحكومة . .

ابن رشد : ليس الأمر هكذا ، أظن فقط أن السلوك الاجتماعي للإنسان لابد أن يخالف سلوكه الفردى . ففى الوسط الجماعى ما تزال ممارسة الفضائل أكثر حدة ودقة منهج ، بالطبع ليست الدولة فى حد ذاتها شيئا ، إنها جهاز تربوى ، من الضرورى أن يكون له هدف لجعل الإنسان أفضل ، عندما كنت قاضيا فى ماوريتانيا أغرقتها بالمدارس ، وما كان للدولة هدف إلا هدف أفرادها ، هكذا يكون الخير العام : تحقيق السعادة للمواطنين من خلال رعاية القانون . والخلاف بين المثقفين والحكام يكمن فى أن الفريق الأول يتأملون الفضائل المجردة ، وأن الفريق الثانى عملى يحاولون تطبيقها ، إن السياسى يحقق معجزة حقيقية :

إذا حصل على أن يؤدى الناس – وهم أحرار – ما ينبغى عليهم أداؤه داخل النظام العالمى . يتطلع الفيلسوف إلى هذا الصراع من بعيد ، لأن ثمة أيضا فى هذا الصدد ثلاثة أصناف من الناس :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الماديون الذين يبحثون عن اللذة والمتعة ، والشجعان الذين يسعون إلى المجد والشهرة ، والعلماء الذين ينشدون العلم ، والصنف الأخير فحسب هو المؤهل حقيقة لقيادة الآخرين .

(ضجة بالغة)

صوت ١٠ : فأمراؤنا إذن غير شرعيين .

ابن رشد : أتقول إنهم غير علماء .

صوت ٧ : ما الذى يحقق شرعية السلطة ؟

ابن رشد : العفة ، والعلم ، والحكمة .

صوت ٧ : على هذا الأساس ينبغى أن يخلع مواطن مسلم سلطانا غير كفء ، فاسقا ، أو فاجرا .

ابن رشد : الذى يقرر هذا هو أنت . حسب ما أرى فإن السمة الظاهرة لشرعية حاكم هى علمه . وينبغى أن يصاحبها فضائل أخرى مثل المجد ، والثروة ، والتوفيق ، والقوة .

صوت ٣ : إلى هذا كنت أريد أن أصل . هذا يتعارض مع الجهاد ، فى هذا الوقت الذى نود فيه أن نسترجع الأرض التى تركها المرابطون قبلنا مسلوبة بسبب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضعفهم ، فى هذا الوقت الذى يطمح فيه شعبنا ببصره إلى وحدة العالم الدينية ، فى هذا الوقت الذى تنهض فيه دولة الموحدين لتبسط سلطانها ، يرفض فيه ابن رشد فرض العين على كل مسلم الذى نشأنا عليه نحن ، ونشأ عليه آباؤنا من قبلنا والذى خوّل لنا العظمة والسلطان ، والذى قدم بنا إلى هنا : الجهاد .

ابن رشد : لم أنكر هذا الفرض . أنا رجل مسالم ، لكنى لست مستسلما ، ما أقرره هو أنه ربما يتعلق هذا الواجب بأشخاص أهل لتحقيقه .

صوت ٣ : أتعتبر فلسفتك أرفع منه ؟

ابن رشد : أدافع بما فى وسعى عن حرية العمل بالنسبة للعلماء ، العمل الصامت ، الشاق ، المليء بالزهد ، وإنكار الذات ، المكرس تماما لخدمة الجماعة ، افهمونى ، افهمونى ، (تبلغ الضجة ذروتها . حتى على وجه ابن رشد) .

صوت ابن رشد : كانت ساعة القيلولة ، وكان الحمام يسجع ، وتفوح رائحة الياسمين ، حينما كنت أترجم أرسطو ، فسمعت فى الشارع صوت الزجال الصعلوك هذا المجنون ابن قزمان ، وكان يتسلل صوته فى شيء من الوضوح من خلال النافذة المفتوحة بين عبق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الياسمين الفاغم والورود ، ماذا كان يغني ؟

صوت ابن قزمان : فمثلك أعطي ، ونشط للمديح [وأثار الكراهية والحقد](١) ومثلي أخذ وشكر ، وانصرف . (قهقهة)

وإذا مت مذهبي في الدفن

أن نرقد في كرمة بين الجفن

وتضموا الورق عليّ كفن

وفي رأسي عمامة من زرجون

ابن رشد : (في حزن) في ذلك الوقت لم أدرك ما كان يبغي الزجال في زجله أن يبلغه إليّ .

كل الأصوات : ملعون ، ملعون (مرة ، مرة ، وفي جماعات) .

صوت ا : باعتبار أن نظريات ابن رشد مؤذية ، فإننا — نحن العلماء والفقهاء في قرطبة نناشد أمير المسلمين — حفظه الله — أن يعلن هذا الخطر شعبيا ، كما يبتر العضو الأشل من جسد الجماعة الأهلية ، ونتيجة لهذا نلتمس من أمير

١ — ما بين معقوفتين أضافه المؤلف على نص ابن قزمان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسلمين أن يجرد ابن رشد من كل مناصبه ، ومن كل رتبه ، ومن كل ثرواته . وأن تحرق مؤلفاته ، تعليما للناس ، وتنكيلا بمن يمكن أن يكون من أتباعه والمارقين ، وأن ينفى عن مدينة قرطبة .

(من عدة أماكن هامة فى قرطبة ، يُقرأ الحكم فقرة فقرة ، أحيانا جملة جملة ، وأحيانا أخرى كلمات فقط بين همس مستغرب من الناس) .

صوت ابن رشد : (يغطى على تلاوة الحكم) لا تخدعوا هذا الشعب الرائع ، لا تهيجوه بالباطل ، لا تخدعوه أبدا ، إنكم تهززونه دائما بين موافقته مثل الطفل كيلا يزعجكم ، أو بين معاقبته فى فظاظة مثل الطفل دون أن توضحوا له السبب ، تتنقلون من الديماجوجية إلى الاستبداد ، احترموا شعب قرطبة هذا ، واحذروه فإنه مثل السكين إن لم تحسنوا استخدامه فإنه يقطع أيديكم .

(فى ميدان منزو ، وفى الطريق الذى ينادى فيه بالحكم شرعوا فى إحراق كتب ابن رشد) .

ابن رشد :كل إنسان حين تجرحه التعاسة فإنها تجرحه فى أعمق أعماقه . وداعاً ياأبنائى : ياأبناء لحمى ، وأيضا أبناء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسي أعي أنه في يوم ما ستنتهي حمى الاتهام هذه ، وإفناء عمل الغير العسير ، وستزول هذه البلادة ، وذلك الحزن ، وسوف تستمرون من بعدى تحكمون ، وتعملون فى قرطبة ، إننى أدرى ذلك ! هذه مدينة هادئة ، لكنها لا تنسى ، وشعبها عادة أفضل من حاكميه ، سيزول هذا الحقد ، سينتهى هذا الهوى غير المسوغ للحرب التى تدمر قبل كل شيء أكثر الناس منها قربا . وسوف يزول العامل الهدام بالنسبة لأولئك الذين يمارسون السلام والعلم والحوار، لكنى لن أحيا حتى أرى هذا ، لن أرى قرطبة بعد ذلك ، حبيبتى ولن أرى نجومها الكثيرة السهاد والتى طالما كنت أرعاها ، ولا هواءها الذى خبرته فى تأن . ولا هزات أرضها التى استطعت أن أعلنها قبل حدوثها ، لن أرى بعد ذلك هذه الأرض ، ولا هاته المناظر ، ولا تلك الأم التى كانت مهيئة لاستقبالى يا أسفا على قرطبة ، التى تنفى علماءها ، وأبناءها البررة ، وتطفئ أنوار الذكاء ، وتشعل الجذوة المعادية ، وتنفى شعراءها ، وتمجد الذين يستبدون بها . وا أسفا عليك ياقرطبة . إنك هجرت الشروع فى الفهم ، وكذلك وا أسفا عليّ فإننى أفقدك ، واأسفا علىّ حين أكون على عتبة الموت يقصوننى عنك ، حين احتجت إلى جوك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يهجر الزرزور شجر الزيتون ، (يأخذ الصوت فى التلاشى)
وداعا قرطبة ، وداعا ، سأسقى أرضا أخرى بدموعى ،
ستوارى أرض أخرى هذا الجثمان الذى منحتنى إياه ، وداعا ،
وداعا .